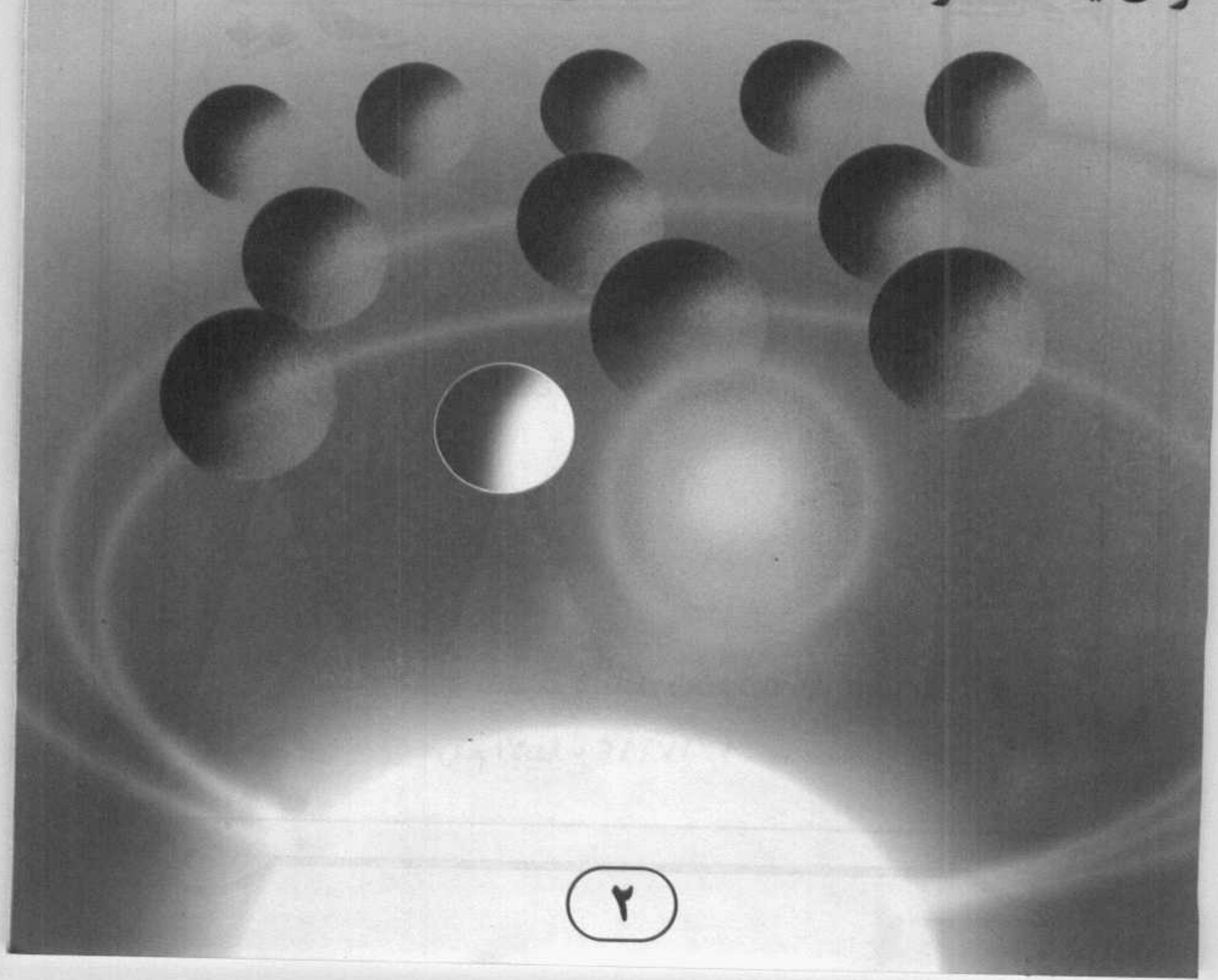

سلسلة الأنبياء والمرسلين

يوسف عليه السلام

إعداد : مسعود صبري
رسوم : ياسر سقراط
تلوين : حسام عزت

رقم الإيداع: ٢٠٠١/١٧٩٩٣

عاش نبي الله يعقوب -عليه السلام- في بني إسرائيل، وقد رزقه الله تعالى اثنى عشر ولداً، وكان قد تزوج من اثنتين، فأنجبت واحدة عشرة والأخرى اثنين، وهما يوسف وبنيامين. وكان يعقوب -عليه السلام- يحب يوسف أكثر من إخوته، وفي يوم من الأيام جاء الصبي يوسف ليحكي لوالده شيئًا رآه، فقد رأى أحد عشر كوكبًا يسجدون له وكذلك الشمس والقمر معهم، عرف يعقوب وهو النبي أن هذه بشارة من الله لابنه يوسف، فازداد حبه له، وطلب منه ألا يخبر إخوته بما رأى، وأن يكتمه، وأعلمه أن الله تعالى سيجعل له شأنًا عظيمًا.

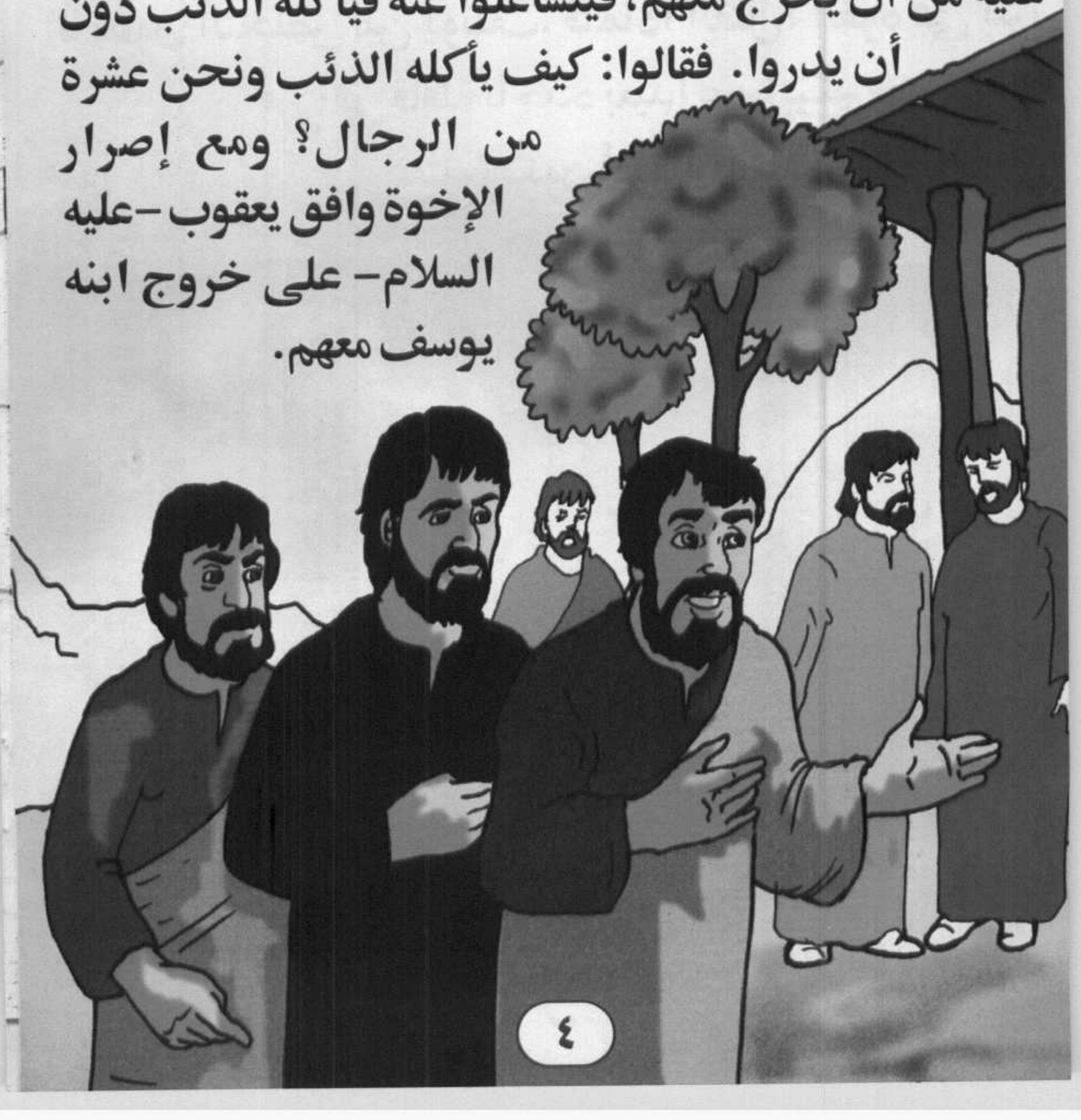


وقد لاحظ الإخوة أن أباهم يعقوب قد ازداد حبه ليوسف، إنهم كانوا يحقدون عليه قبل ذلك، فالآن يرون أباهم يحب ابنه الصغير أكثر، ففكروا في سبيل للخلاص منه، فقال بعضهم: نقتله. ومع مرور الأيام سينسى أبونا ابنه، وسنستغفر الله مما فعلنا. ولكن واحداً منهم رفض هذا الاقتراح، وقال لهم: إنكم تريدون التخلص من يوسف، فلماذا القتل؟ ألقوه في بئر، فستأتي قافلة تأخذه بعيداً عن أبيكم، وبذلك لا نقتله ويكون أبونا لنا وحدنا، فاتفقوا على هذا الأمر.

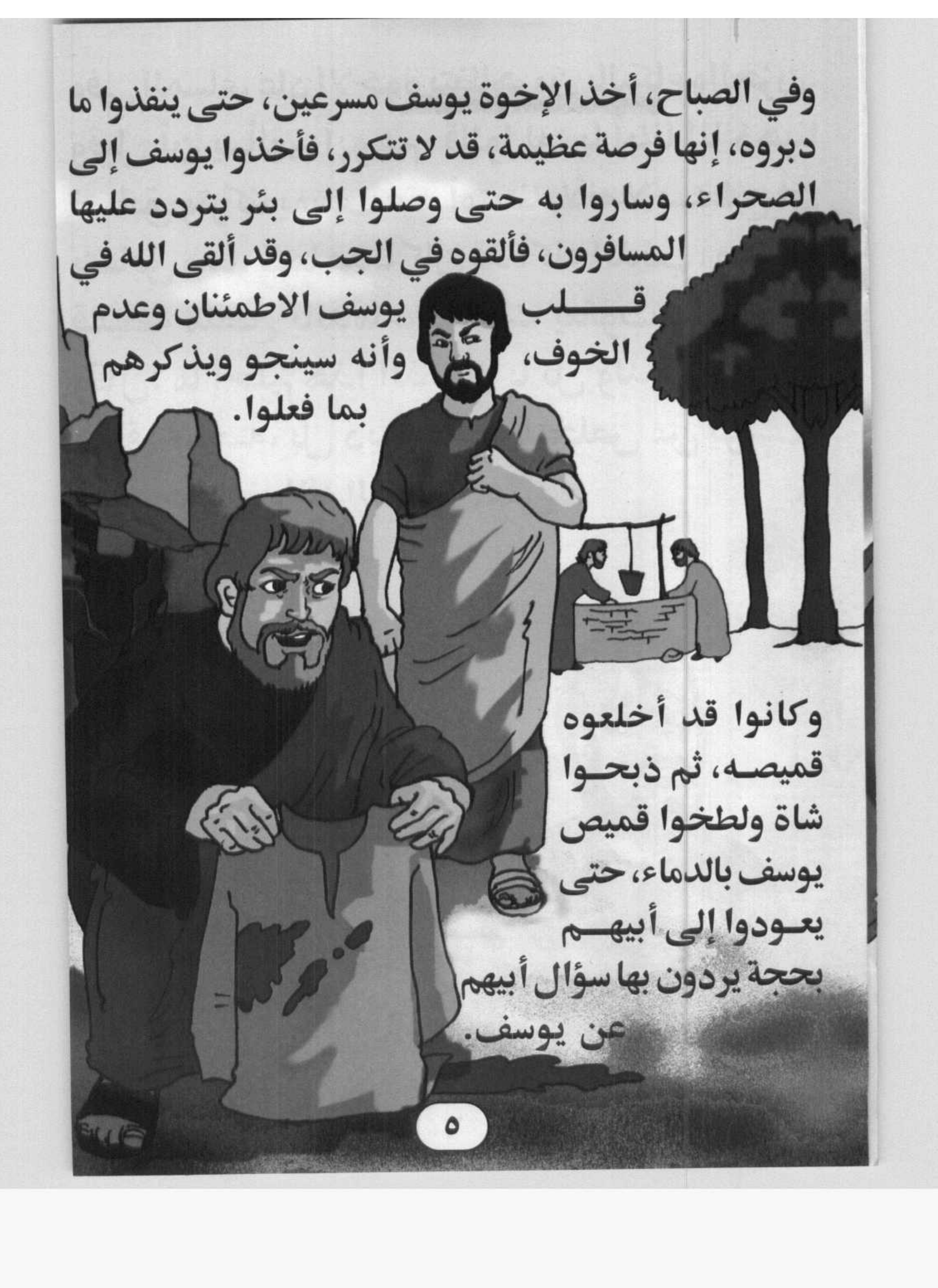
وفي ليلة من الليالي، جاء إخوة يوسف إلى يعقوب عليه السلام، وقالوا له: يا أبانا، ما لك لا تأمنا على يوسف أن يخرج معنا، فيلعب ويمرح كبقية الصبيان، ألا ترى أن وجهه مصفرا؟!

إنه محروم من اللعب كبقية الصبية.

فحاول يعقوب الاعتذار، من أنه يريده بجواره، ثم إنه يخاف عليه من أن يخرج معهم، فيتشاغلوا عنه فيأكله الذئب دون أن يدروا. فقالوا: كيف يأكله الذئب ونحن عشرة من الرجال؟ ومع إصرار الإخوة وافق يعقوب -عليه السلام- على خروج ابنه يوسف معهم.

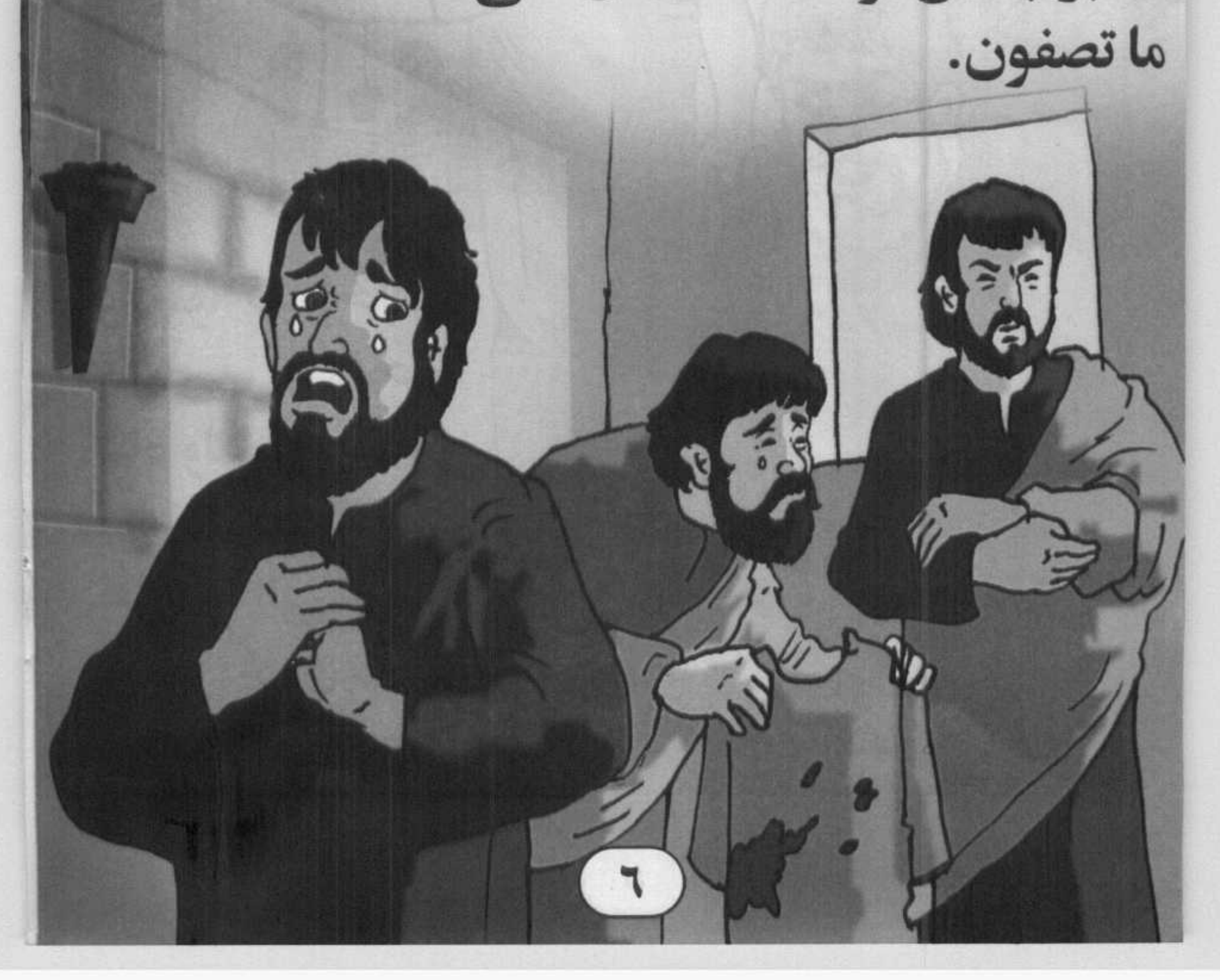


وفي الصباح، أخذ الإخوة يوسف مسرعين، حتى ينفذوا ما دبروه، إنها فرصة عظيمة، قد لا تتكرر، فأخذوا يوسف إلى الصحراء، وساروا به حتى وصلوا إلى بئر يتردد عليها المسافرون، فألقوه في الجب، وقد ألقى الله في قلب يوسف الاطمئنان وعدم الخوف، وأنه سينجو ويذكرهم بما فعلوا.



وكانوا قد أخلعوه قميصه، ثم ذبحوا شاة ولطخوا قميص يوسف بالدماء، حتى يعودوا إلى أبيهم بحجة يردون بها سؤال أبيهم عن يوسف.

وفي المساء، عاد الإخوة يتظاهرون بالبكاء والحزن، وقبل أن يسألهم أبوهم، قالوا له: يا أبانا إنا ذهبنا نتسابق وتركنا يوسف عند أمتعتنا، لأنه لا يستطيع أن يتسابق معنا، فلما عدنا كان قد أكله الذئب، وها هو قميصه ملطخ بالدماء، فأمسك يعقوب بالقميص، وقال: ما أحلم هذا الذئب، يأكل ولدي دون أن يمزق قميصه، بل دبرتم أمرًا للتخلص من يوسف، فصبر جميل، والله المستعان على ما تصفون.

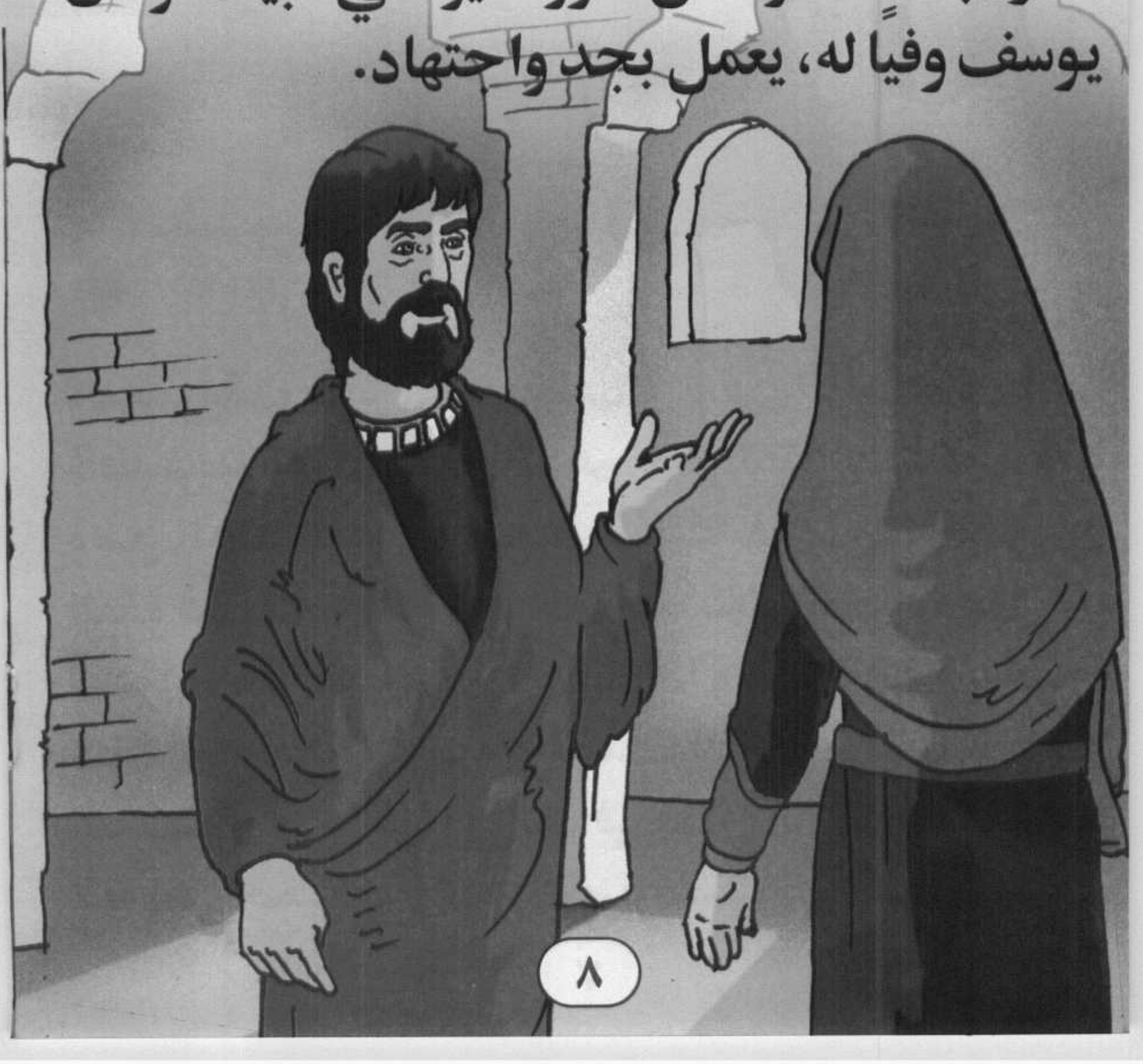




ولم يمر وقت طويل على يوسف في البئر، فقد جاءت قافلة تريد ماء، فأرسلوا أحدهم ليأتي لهم بالماء، فلما وضع الدلو، تعلق به يوسف، فظن الرجل أن الدلو قد امتلأ، فلما أخرجه وجد غلاماً جميلاً، فقال: يا للبشرى، هذا غلام، وكان قديما إذا وجد أحد غلاماً أصبح عبداً له، ويمكن له بيعه، وأخذت القافلة يوسف، وحاولوا التخلص منه، وباعوه في مصر في سوق الرقيق بثمن زهيد، لأنه صبي صغير، ثم اشتراه وزير مصر.

ودخل يوسف بيت وزير مصر، وكانت له زوجة لا تنجب، فقال لها: خذي هذا الغلام، وأكرميه، عسى أن ينفعنا، أو يكون لنا ولداً.

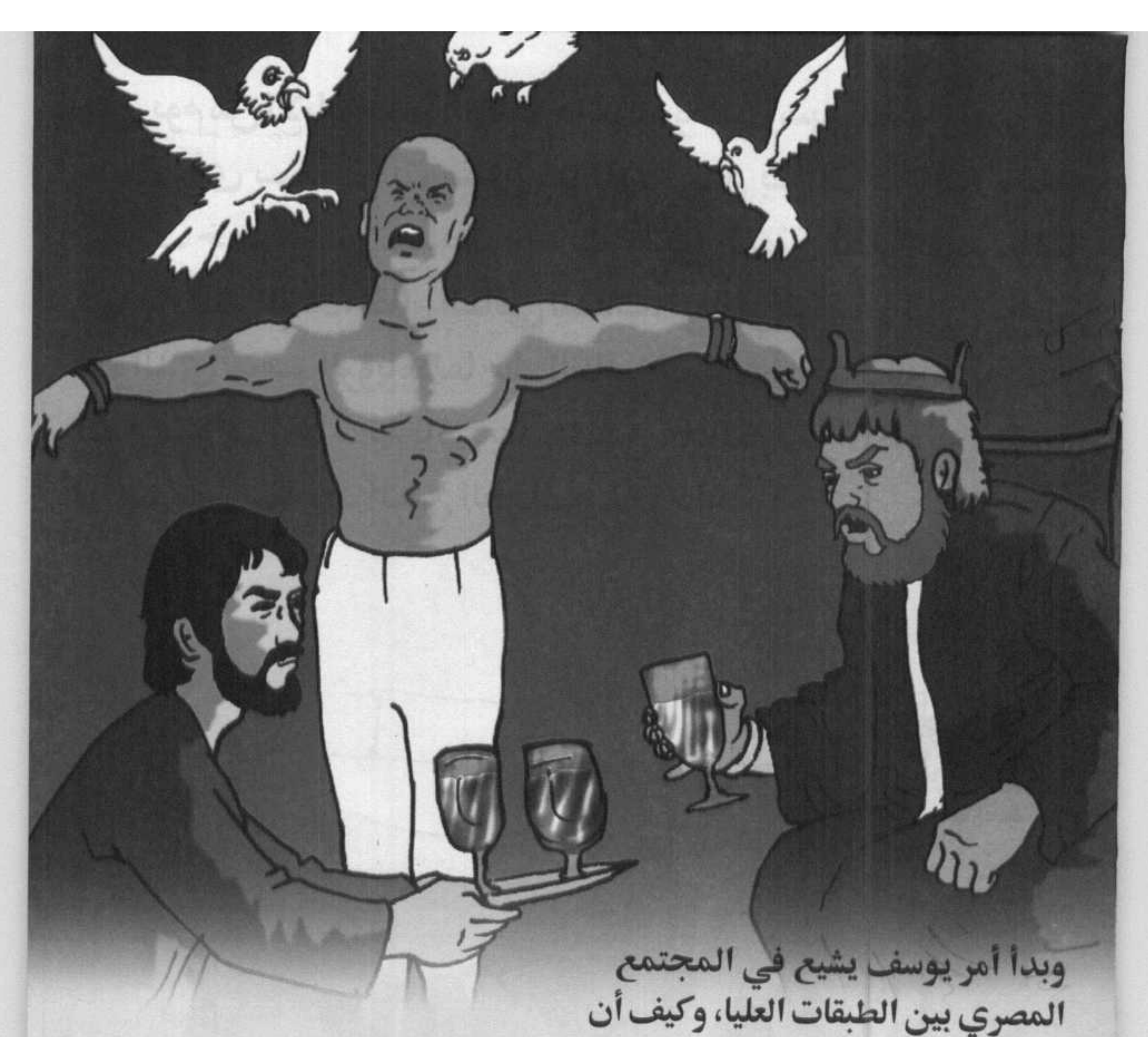
وعاش يوسف عليه السلام في بيت وزير مصر، وأظهر إخلاصاً في العمل، وحسن خلق، جعل وزير مصر يجعله مسئولاً عن أمور كثيرة في البيت، وكان يوسف وفياً له، يعمل بجد واجتهاد.



وظل يوسف عليه السلام سنين عديدة في بيت عزيز مصر ووزيرها، وكانت امرأة العزيز ترى جمال يوسف وحُسنه، فكانت تشير له أنها تريده عن نفسه، ولكنه كان لا يلتفت إلى كل هذا، وظل هذا الأمر سنين، حتى لم تستطع أن تصبر عليه، فغلقت عليه الأبواب، وتزينت له، وراودته عن نفسه، ولكنه أعرض عنها، وقال: معاذ الله أن أخون رجلاً أكرمني في بيته، وجعلني حفيظًا عليه، ولكنها أصرت أن يفعل بها الفاحشة، وظلت تراوده وهو يرفض، وعندما هم بتركها أمسكت به ومزقت قميصه فهرب منها متجهًا ناحية الباب، وكان زوجها قد أتى، فتظاهرت أنه أرادها بسوء، وأنه يجب سجنه، فبرأ يوسف نفسه، وحكم شاهد من أهلها إن كان القميص قد مُزق من الأمام فهو كاذب، وإن كان قد مُزق من الخلف فهو صادق، فكان القميص قد مُزق من الخلف، فأمر الوزير يوسف أن ينسى هذا الأمر.



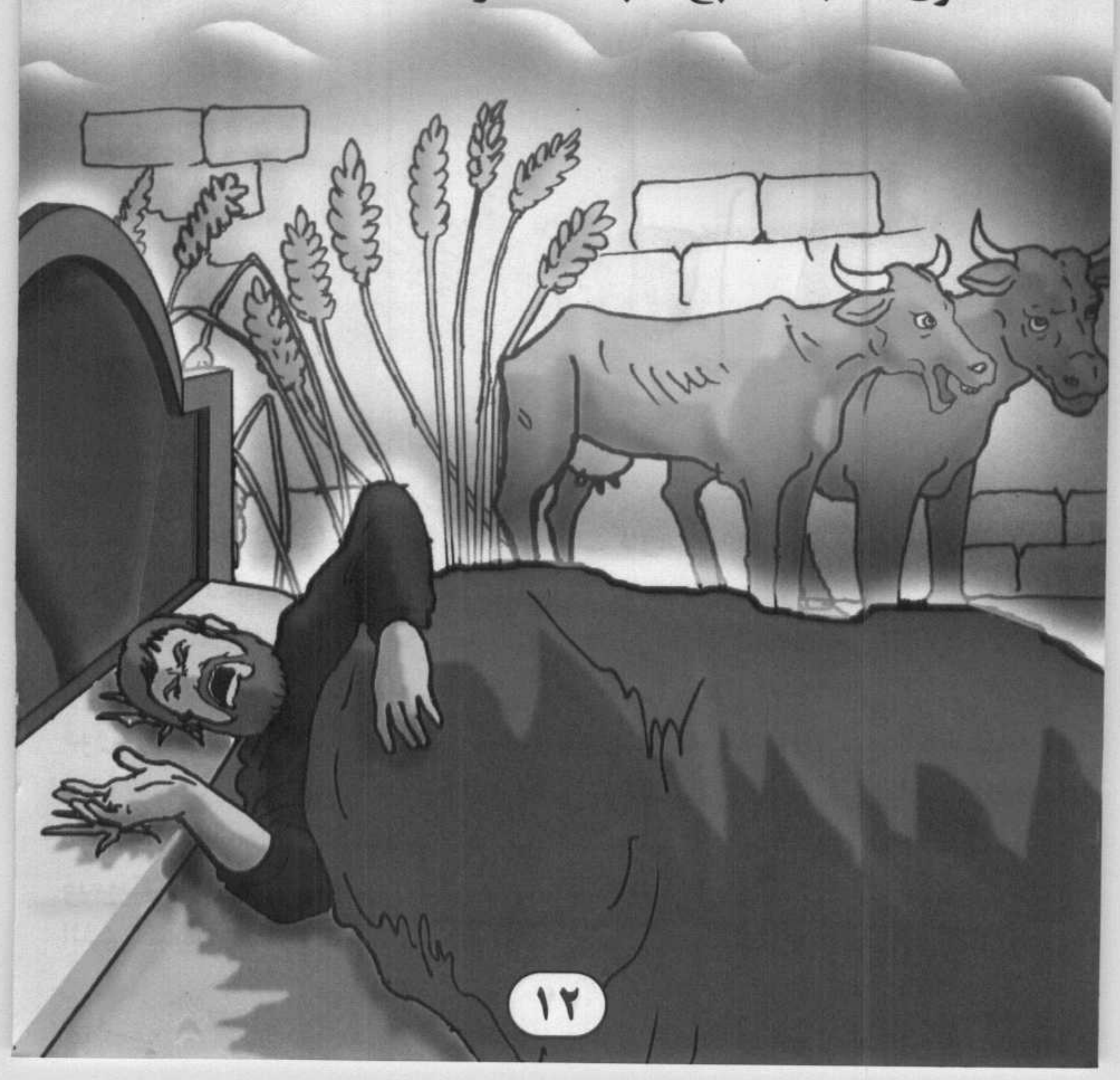
ولكن الخبر تناقل في المدينة، وبدأت النساء ذوات الطبقة العالية يتحدثن عن يوسف وامرأة العزيز التي تراوده وهو غلامها، ولكنه يرفض، فلما سمعت امرأة العزيز بذلك أعدت لهن مأدبة كبيرة، ودعت كل من تكلمت عنها، وجهزت أطباقًا وسكاكين، ولما بدأن الأكل أمرت يوسف أن يطلع عليهن، فلما رأينه أكبرنه وجرحن أيديهن من حسن وجمال يوسف، فقالت: فذلك الذي راودته، لقد أعجبتن به لأول نظرة، وهو معي كل يوم منذ سنين، وهو يرفض تلبية طلبي، وسأصر عليه، فإن رفض سأسجنه، وبدأت كل واحدة منهن تريد يوسف لنفسها، فدعا يوسف ربه أن ينجيه من هذه الفتنة، ولو بالسجن.



وبدأ أمر يوسف يشيع في المجتمع المصري بين الطبقات العليا، وكيف أن نساءَ مصر حاولن إغراء يوسف، ولأنٍ يوسف كان عبداً، فإن الأمر انتهى بسجنه، تسكيتاً للرأى العام.

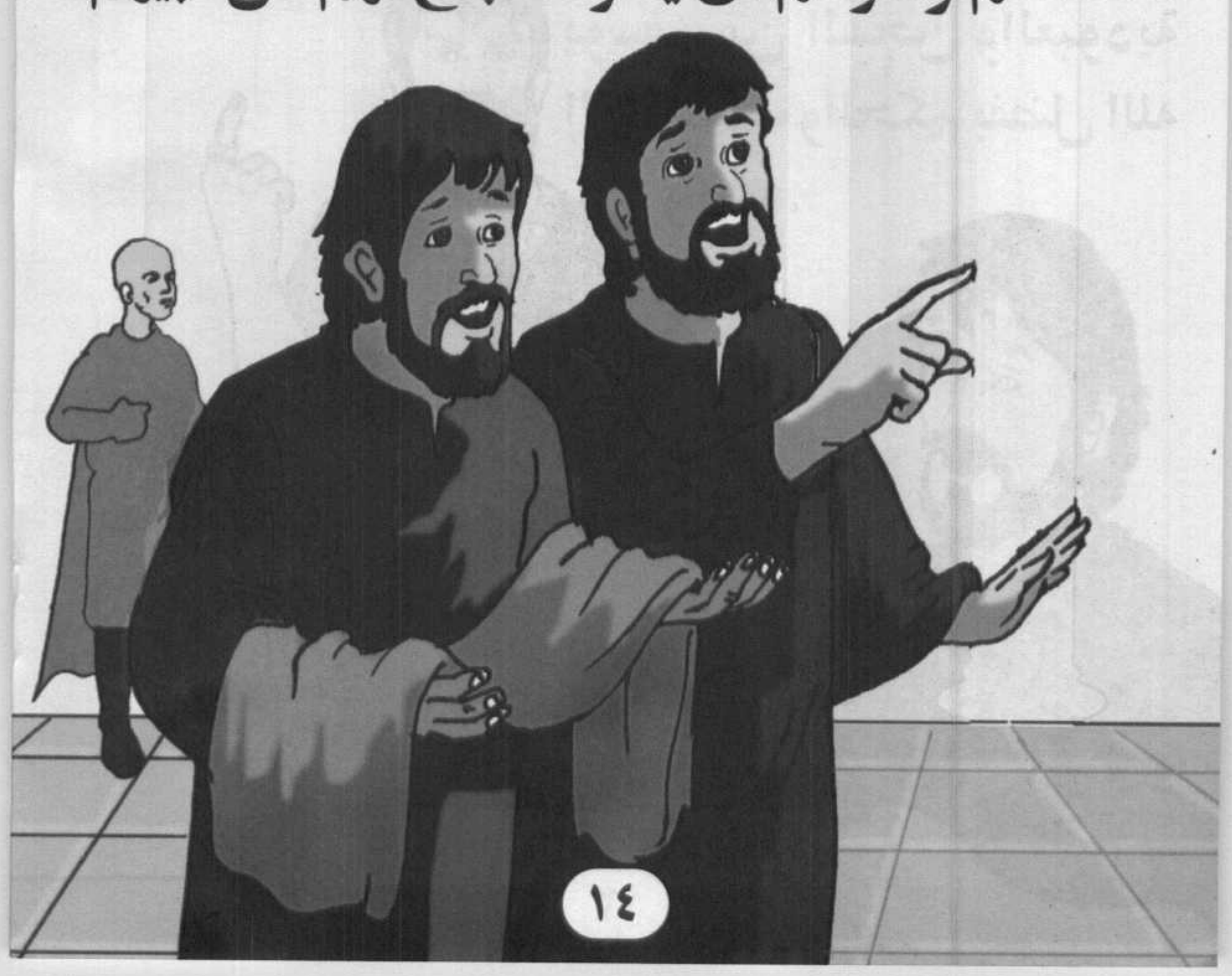
ودخل يوسف السجن، ودخل معه السجن فتيان، فرأيا منه صلاحاً وتقوى، وكانا قد رأيا رؤيا، فقال أحدهما: «إني أراني أعصر خمراً، وقال الآخر: إني أراني أحمل فوق رأسي خبزًا تأكل الطير منه. نبأنا بتأويله إنا نراك من المحسنين». فبدأ يوسف يتكلم عن وحدانية الله تعالى، وكيف أن الناس أشركوا به، واتخذوا من دونه آلهة، وأن الله أعطاه كثيراً من فضله، ثم قال لهما: إن أحدهما سيصلب ويموت، وأما الآخر، فسيعمل ساقياً عند الملك، ولم يقل لهما من الذي سيموت ومن الذي سيعيش، تلطفاً بمن سيموت، ثم قال: من ينجو منكما فليذكرني عند الملك.

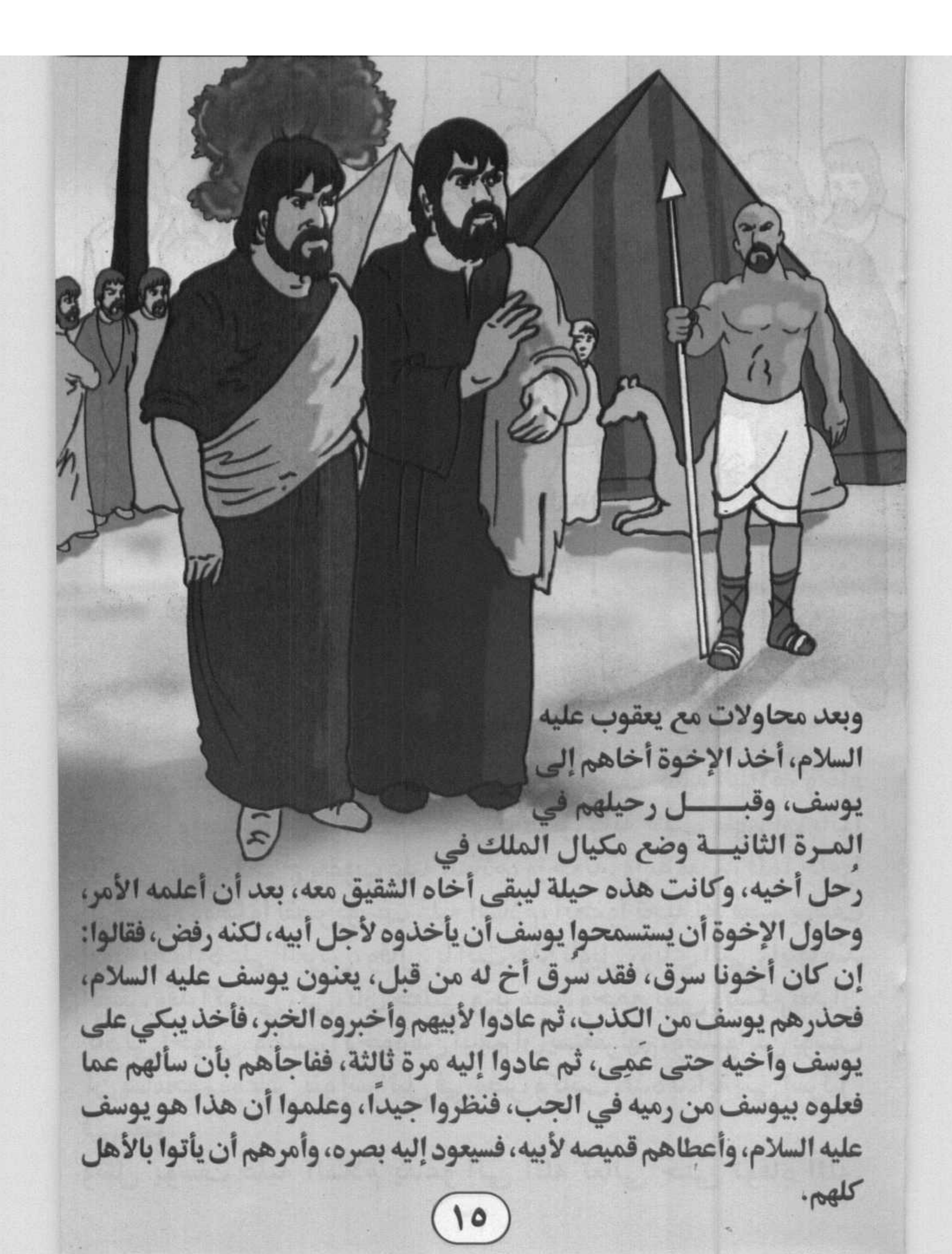
وفي يوم من الأيام جمع الملك حاشيته، وطلب منهم تفسير رؤيا رآها، حيث رأى سبع بقرات سمان، يأكلهن سبع بقرات عجاف، وسبع سنبلات خضر، وسبع سنبلات يابسات، ولكن الكهنة رفضوا تفسيرها لما فيها من الشر للبلاد، فقال الساقي للملك: أرسلني ليوسف في السجن، فهو الذي سيفسر الرؤيا. ولما جاء الساقي ليوسف، أخبره أن مصر ستمر بسبع سنوات رخاء، ثم يأتي بعدها سبع عجاف، ثم زاد هو من عنده، أنه ستكون سنة بعد السبع العجاف سنة رخاء.



ولما عاد الساقي للملك وأخبره الخبر، طلب مجيء يوسف، لكن يوسف رفض أن يخرج حتى تثبت براءته من كيد النساء، وطلب الملك النساء ومنهن امرأة وزير مصر، واعترف الجميع ببراءة يوسف، ولما جاء يوسف للملك، طلب يوسف من الملك أن يجعله على خزائن مصر، حتى يتأكد من مرور هذه السنوات بسلام على مصر وعلى من حولها من البلاد، واستجاب الملك لطلب يوسف عليه السلام، وجعله وزير مصر، وتحول يوسف من السجن والعبودية إلى المُلك والحُكم بفضل الله وكرمه.

وبدأ يوسف يستعد للسنين العجاف، فكان يخزن القمح في الأهرامات، ولا يخرج من القمح إلا ما يحتاج الناس لأكله، ولما جاءت السنوات العجاف، وكانت عجافًا على مصر ومن حولها، كان القمح موجوداً بمصر، وكان من حولها يأتون إلى مصر، وكان من بين من جاء إليه إخوته ليطلبوا القمح، فأعطاهم وأمرهم أن يأتوا له بأخ لهم من أبيهم.





وبعد محاولات مع يعقوب عليه السلام، أخذ الإخوة أخاهم إلى يوسف، وقبـــل رحيلهم في المـرة الثانيــة وضع مكيال الملك في رُحل أخيه، وكانت هذه حيلة ليبقى أخاه الشقيق معه، بعد أن أعلمه الأمر، وحاول الإخوة أن يستسمحوا يوسف أن يأخذوه لأجل أبيه، لكنه رفض، فقالوا: إن كان أخونا سرق، فقد سرق أخ له من قبل، يعنون يوسف عليه السلام، فحذرهم يوسف من الكذب، ثم عادوا لأبيهم وأخبروه الخبر، فأخذ يبكي على يوسف وأخيه حتى عَمِيَ، ثم عادوا إليه مرة ثالثة، ففاجأهم بأن سألهم عما فعلوه بيوسف من رميه في الجب، فنظروا جيداً، وعلموا أن هذا هو يوسف عليه السلام، وأعطاهم قميصه لأبيه، فسيعود إليه بصره، وأمرهم أن يأتوا بالأهل كلهم.



وقبل أن تصل القافلة أحس يعقوب بقميص يوسف عليه السلام، وجاء الإخوة، وأخبروه أن يوسف أصبح وزير مصر، وأنه طلب منهم أن يأتوا بالأهل كلهم، فخرج يعقوب عليه السلام، وإخوته، وأمه معهم، فلما جاءوا إلى مصر، ووصلوا لقصر يوسف عليه السلام، انحنوا تحية له، فضم يوسف أبويه بجواره على العرش، وقال: يا أبت هذا تأويل رؤياي التي رأيتها منذ الصغر، وقد أكرمني ربي، بأن جعلني وزير مصر، وجمع بيني وبينكم بعد أن كاد لي إخوتي، وطلب الإخوة من أبيهم أن يستغفر لهم، وطلبوا من يوسف أن يسامحهم، وعاش بنو إسرائيل في مصر، وكانت هذه بداية بني إسرئيل في مصر.

وظل يوسف عليه السلام يدعو إلى الله تعالى حتى توفاه الله.